

الاجناس الادبية

تعددت دراسات الباحثين ، والنقاد في تناول الأجناس الأدبية ، فقد تناولها سقراط وأفلاطون وأرسطو، ويمكن تعريفها ببساطة على انها:
تلك القوالب الفنية التي تمثل المظهر الخارجي للأدب ، والتي ينظر إليها قبل النظر إلى المضمون

ينسب إلى ارسطو التقسيم الثلاثي المعروف (الملحمي والدرامي والغنائي) ثم أضيف فيما بعد التعليمي.

ويمكن تقسيم الأجناس الأدبية بصورة عامة إلى :

- (1) شعرية : وهي الملحمة ، والمسرحية ، والقصة على لسان الحيوان ، والوقوف على الأطلال
- (2) نثرية : وهي القصة ، والتاريخ الأدبي ، والحوار ، والمناظرة الأدبية

الاجناس الشعرية :

اولا: الملحمة

تعد الملحمة في نظر كثير من النقاد أجمل أنواع النظم ؛ لأنها تكون من وزن واحد لا تخرج عنه ، وتشتمل على حوادث خارجة عن المألوف ، وأشخاصها مزيج من الأبطال والعظام ومن الآلهة أحيانا أو أنصاف الآلهة . كما يزعمون، أو شخصيات خرافية ، والملحمة فن قديم ظهر عند الإغريق ، فقد تعددت الآلهة عندهم تعددا مفرطا ، اختلطت أعمال الآلهة القادرة بأعمال الإنسان العاجز وشهواته ، وأصبح الإله في نظرهم مزيجا من الاثنين الإنسان ورغباته ، والإله بجبروته وقهره. كانت الملحمة قديماً تُتناقل شفاهة من جيل إلى جيل . وقد أدت تقاليد الرواة في أحيان كثيرة إلى تغييرات وإضافات أو اختصارات أو تأويلات نتج منها ظهور صياغات متعددة للملحمة نفسها، في العصر نفسه، أو بين عصر وآخر لذا من المؤكد علمياً أن نصوص معظم الملاحم القديمة قد استغرقت قروناً عدة حتى اكتملت صياغاتها المتداولة حالياً فلا يمكن نسبتها إلى مؤلف بعينه.

أبطال معظم الملاحم ولدوا نتيجة اتحاد غير طبيعي بين امرأة بشرية وكائن إلهي أو خارق، وغالباً تكون لديه مناعة ضد الموت، سوى في نقطة ضعف في جسمه، وهؤلاء ينمون بسرعة مذهلة، وتكون أولى معاركهم مع وحش خارق، وسرعان ما ينجب ولداً من امرأة أجنبية أو غير بشرية تُنشئه في موطنها ويصير محارباً بقوة أبيه الذي لا يعرفه. وعندما يلتقيان يقتل الأب ابته في معركة ثنائية شرسة وطويلة. وسرعان ما يموت البطل نتيجة ارتكابه الخطأ تلو الآخر، وغالباً ما تكون أخطاؤه بمنزلة آثام لا تغتفر.

أقدم الملاحم:

أما ملحمة «جلجامش» الرافدية التي جمع أشلاءها وأعاد صياغتها الشاعر سين - لِقَه- أونيني نحو 1200 ق.م فتعالج موضوعات الصداقة والبطولة والمآثر المجيدة والموت المرير والبحث اليأس عن الخلود، وكذلك موضوع العلاقة الوثيقة بين وجود الإنسان وقدره المحتوم والغامض.

وتليها (الإلياذة) للشاعر اليوناني هوميروس وتدور حول خطف " باريس بن أفرام " ملك طراودة (هيلانة) امرأة مينا لاوس ملك أسيرطه. و(الأوديسا) وهي أيضا لهوميروس وهي تصف رحلة اوديسيوس في عرض البحار. (الإنيادة) نظمها الشاعر الروماني فرجيل في القرن الأول قبل الميلاد، وتدور أحداثها حول البطل اينياس الطراودي وبحثه عن مدينة اخرى ليعمرها بعدما سقطت طراودة. وبعد مدة طويلة من الكمون الملحوظ عادت الملحمة إلى الظهور في العصور الوسطى في أوروبا، وأشهر هذه الملاحم :

(بيوولف) الأنغلو- سكسونية (ق 8م)
 (نشيد هيلدبراندا) (ق 9م) و(نشيد النيبلونغن) الألمانيان (ق 12م)،
 (نشيد رولاند) الفرنسي (ق 12م)
 (نشيد إيغور) الروسي (ق 12م)،
 (كالفلا) الفنلندية (ق 19م)،
 (إدّا) الإيسلندية (ق 12م)

وهناك من الشرق ملحمة (مناس) القرقيزية لرادلوف (ق 19م)
 وملحمة (مم وزين) الكردية لأحمد خاني
 وملحمة (روعة الملوك) الحبشية (ق 13م)
 وملحمة (الملك غيسر) التبتية (ق 11م)
 وملحمة (راماكين) التايلندية (ق 18م)..... وغيرها كثير.

أما الملاحم المتأخرة فإن مؤلفها يقتدى بالقدماء فيعالج موضوعا دينيا كما (دانتي) الإيطالي في الكوميديا الإلهية

ومن أشهر الملاحم العالمية :

- 1 (الكوميديا الإلهية لدانتي
- 2) الفردوس المفقود لجون ملتن الإنجليزي
- 3 (الشاهنامة للشاعر الفارسي الفردوسي
- 4 (أنشودة الظلام وهي ملحمة جرمانية لشاعر مجهول
- 5) المهابهارتا والراماينا الهندية

الملحمة في الشعر العربي :

لم ينظم العرب في جاهليتهم الملاحم ؛ لأن طبيعة العربي تقوم على أساس البديهة والارتجال والحفظ فهم قوم أميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، فهم في جاهليتهم لم يهتموا باستجلاء ما وراء الطبيعة لفقد العاطفة الدينية عندهم قبل الإسلام ، ولكن وجد عند العرب ملحمتان هما سفر أيوب ورسالة الغفران .

أما في العصر الحديث ، والاتصال بالحضارة الغربية ، والآداب العالمية الأخرى ظهرت بعض الملاحم فقد ترجم سليمان البستاني إلياذة هوميروس شعرا عربيا، ثم ظهر أحمد محرم في (الإلياذة الإسلامية) ثم فوزي المعلوف في (بساط الريح) ثم شفيق معلوف (ملحمة عبقر) ثم القاضي بولس سلامة في ملحمة (عيد الغدير) ثم ملحمة (عيد الرياض) إلى جانب هذه الملاحم توجد الملاحم الشعبية (عنتره) ، (الوزير سالم) ، و(الأدهم)

1/ ملحمة كلكامش:

وهي الملحمة الأولى عالميا ويعود إنتاجها إلى الإلف الثاني قبل الميلاد ونصها الكامل ينطوي على اثني عشر لوحا وقد عثر على بعضها في مكتبة (أشور بانيبال) في (نينوى شمال العراق) تحت عنوان (هو الذي رأى كل شي).

وتحكي قصة ملك أور كلكامش وبطلها وحاميها وكان بطلا شعبيا حتى أن المخيال الشعبي جعل أمه آلهة وهو ثلث اله.

وتبدأ الملحمة بتصوير لحظة طغيان تولدت عند هذا البطل فأصبح ظالما قاسيا حتى ضاقت به الناس وتدمروا من جوره وابتهلوا للإلهة كي تخلصهم من جوره لامن شخصه لأنه مع ذلك كان محبوبا من شعبه لأنه دافع عنهم وحماهم من الغزوات.

لقد استجابت الإله لتذرعات الناس وخلقت لهم (انكيديو) كي يصارع (كلكامش) وجعلته في الغابة في بداية الأمر غير ان كلكامش علم بالأمر وأرسل له صاحبة الحانة (حمشة) التي جعلته يحبها ويتحول من شبه حيوان إلى إنسان بدا مع الحب يتحضر وتنظف فتهرب منها الحيوانات ولعل المرحلة الحاسمة في الملحمة هي لحظة الصراع بين انكيديو وكلكامش الذي جرى عند المعبد أمام الناس وانتهى بالتعادل بينهما.

واقتناع كل منهما بعدم قدرته على هزم الآخر ، مما حدا بكلكامش بان يتخذ انكيديو صديقا ومرافقا له ، وبعد ذلك ينهض الاثنان بمهمة تخليص العالم من الشر كما تشير الملحمة، فخاضا معاركا كثيرة إلى أن تعاقب الآلهة كلكامش بموت انكيديو مما جعل كلكامش يحاول إعادة صديقه مرة بالتوسل إلى الآلهة وأخرى بالنزول إلى العالم الأسفل بلا جدوى.

لقد كان موت انكيديو لحظة حاسمة في الملحمة كما كانت ولادته فقد بدا كلكامش من صراع الشر إلى صراع هذا الموت الذي بدا له مطلق الشر، وطفق بالبحث عن عشبة الحياة التي تقول الملحمة ان الآلهة قد منحها لاوتوبشمن الناجي من الفيضان وبعد صعوبات ومحاولات متعدد وتوسلات وتدخل

زوجة اوتوبنشتم حصل كلكامش على عشبة الخلود مع توصية بالانتباه والحذر من الأفعى كي لاتسرقها ، غير ان هذا الموضوع قدرى فتسرق الأفعى عشبة الخلود بعد ان أعياه التعب ونام في الطريق ، وهكذا يصل كلكامش إلى نتيجة حتمية هي انه لاخلود لبشر فانه لابد ميت ، غير انه يصل إلى معنى آخر للخلود وهو العمل الصالح وخدمة البشر والبناء والحضارة. وهكذا تنتهي الملحمة.

ان هذه الملحمة هي ملحمة سومرية ولدت في ارض الرافدين ثم انتقلت إلى اليونان وكل العالم غير ان الأدب اليوناني يتلقف هذه الملحمة ويعيد إنتاجها بملحمتين هما (الإلياذة والأوديسة لهوميروس) إذ نرى صورة ملحمة كلكامش متشظية في الملحمتين، ولعل من المفيد ان نعرض أولا للملحمتين ومن ثم نقارن بين الملاحم الثلاث.

الإلياذة:

تحدث هذه الملحمة عن الأشهر الأخيرة من حصار طروادة بين اليونان وطروادة الرومانية الذي كان بسبب اختطاف (هلين زوجة ميناوس . احد ملوك اليونان) من قبل بارس الطروادي وفي هذه اللحظات تبدو الحرب ساكنة، الإلهة منقسمة على نفسها كل مجموعة تنحاز لطرف فتبدأ الحروب الكلامية بينهم .

وتبدأ أحداث الملحمة عندما يأسر (اغاممنون) بنت احد كهنة معبد الآلهة (باولو) واسمها (كريتس) لذلك تعاقب الإلهة جيش اليونان ويتفشى الطاعون فيه لذلك يقبل (اغاممنون) ان يرد الأسيرة شرط ان يأخذ مكانها أسيرة (اخيليوس) الذي يعدها اهانة له وينسحب من المعركة مع صديقه (بروتكلس) الأمر الذي اضعف الجيش اليوناني وجعله يمني بهزائم كبرى مما حدا ب (اغاممنون) ان يعترف بخطئه ويطلب المصالحة مع (اخيليوس) من دون جدوى وتتوالى هزائم جيش اليونان وتكبر لهذا دعا (اغاممنون) بان يرسل (باترولكس) مع جيشه إلى المعركة، فيحقق انتصارا كبيرا على الطرواديين ولكن بثمان غال وهو مقتل (باترولكس) فيحزن (اخيلوس) كثيرا ويدخل المعركة ثارا لصديقه وفعلا يقتل (هكتور) قاتل صديقه ويهزم الطرواديين وتنتهي بعد ذلك الحرب بحيلة الحصان الخشبي وتنتهي الملحمة وتشير الملحمة إلى ان (اخيلوس) ثلثه اله وان أمه اله وأبوه بشر ويحاول ان يستعيد صديقه من العالم الآخر من دون جدوى

الأوديسة:

وهي ملحمة (هوميروس) الثانية وموضوعها عودة (اوديسيوس) من حرب طروادة فقد عاقبته الآلهة وجعلته يهيم بالبحر عشر سنوات ويتعرض إلى مغامرات كثيرة ويرى أجناسا من البشر والحيوانات الأسطورية وفي أثناء ذلك يحاول الطامعون أين يستولوا على زوجته وملكه غير ان ذلك لم يحصل وتصمد لحين عودته الذي يقضي على الطامعين وتنتهي الملحمة.

ولعل من المفيد ان نحاول بيان اثر ملحمة كلكامش في هاتين الملحمتين انطلاقا من مستويين هما:

(1) المستوى التاريخي : وهو مستوى الدراسات التي تعنى بالدليل التاريخي وهنا تشير الدراسات إلى الحقائق الآتية

ان ملحمة كلكامش قد كتبت قبل الملحمتين بعدة قرون
عثر على قطعة فخارية من ملحمة كلكامش في جزيرة كريت اليونانية ويبدو ان التجار بين بلاد وادي
الرافدين واليونان قد حملوها إلى هناك

(2) المستوى النصي : ويتم من خلال الوقوف على قوة التشابهات والاختلافات بين النصين، كما
سيأتي:

مقارنة ملحمة كلكامش بالإلياذة و الأوديسة

1. الملحمتان نظمتا شعرا
 2. التشابه في البناء الفني والسردى ، البدء بالابتهاال وتعدد الاجزاء.
 3. اختلاط الحقائق التاريخية بالخيال الشعبي والأساطير، فكلكامش شخصية تاريخية حقيقية نسجت الملحمة حوله الأساطير، وكذلك حرب طروادة وقادتها.
 4. تأليه البشر وجعل جزء منه إله والآخر بشر .
 5. التطابق بين شخصيتي انكيدوا في كلكامش وباتروكلش في الإلياذة وهي شخصية المرافق المساعد
 6. كان موت كل من انكيدوا وباتريوكس تطورا مهما في الملحمة وأحداثها.
 7. توضيح للعادات والتقاليد والآلهة والناس والانطواء على الأجواء الأسطورية.
 8. الرحلة إلى العالم الآخر (عالم الجنة والنار).
 9. معاقبة الإله للشخصيتين الرئيسيتين كلكامش و اخيلوس.
 10. تشابه في الرحلة البحرية بين كلكامش والأوديسة
- هذه رؤية بسيطة أولية للعلاقة بين ملحمة كلكامش والإلياذة والأوديسة

ولا يقتصر الأثر العربي على الملاحم الغربية في ملحمتي الأوديسة والإلياذة بل يتعداه إلى الملاحم الغربية الحديثة ولاسيما منها الكوميديا الإلهية .

الكوميديا الالهية

وهي ملحمة دينية رمزية كتبها دانتي (1265-1331) وهي رحلة خيالية إلى العالم الاخر المكونة من ثلاثة اجزاء وهي (الجحيم والمطهر والجنة الأرضية) كل جزء مكون من ثلاثة وثلاثون نشيدا وهي على النحو الآتي:

أ- الجحيم: وهو مكان الظلمات ووادي المهلوي الأليم وفيه يسقط الإنسان الذي لا يعيش حياة الحكمة والعفة والإيمان ومكانه في باطن الأرض حيث تسقط الأرواح كالأوراق الجافة فارقت غصونها

ويرحل (دانتي) مع (فرجيل الأديب الروماني القديم) رمز الحكمة الشعرية ليصلان معا إلى دوائر الجحيم وطبقاته ويوصفها (دانتي) على النحو الآتي:

*الدائرة الأولى وفيها يقيم الشعراء والأدباء والفلاسفة والمفكرون الذين ساعدوا في رقي

الإنسانية ولكن لم يصلح دينهم ومنهم ابن رشد وابن سينا

* الدائرة الثانية المترفون وتدور بهم عاصفة لاتهدأ

*الدائرة الثالثة الشرهون بطونهم إلى الأرض وتفترسهم الوحوش

*الرابعة البخلاء والمترفون يدرجون الصخور وهم متشائمون

*الدائرة الخامسة وفيها الغضوبون يمزق بعضهم بعضا بأسنانهم

*الدائرة السادسة وفيها الملحدون المتكبرون

*الدائرة السابعة وفيها المتمردون والجبابرة

*الدائرة الثامنة وهي منطقة (الحفر اللعينة) وهي سجن الغاشين والمتملقين والمزيفين

والخائنين لاوطانهم

*دائرة التاسعة وهي الدرك الأسفل من النار حيث يعاقب الشيطان

ب/ المطهر: وهي جبل مرتفع مقابل منطقة الجحيم وهي مركز الأرض وفيها يكفر المذنبون عن سيئاتهم ويختلفون عن سكان الجحيم بتوبتهم لذلك لديهم امل بالنجاة ويتكون من سبع دوائر في قمته الجنة الأرض

ج- الجنة الأرضية:

وهنا تظهر (بياتريتشه) حبيبة (دانتي) في طفولته فقد أحبها حبا طاهرا نبيلاً فيترك

(فرجيل) ليصطحبها في السموات السبعة ذات الكواكب المتحركة ثم السماء السابعة ذات النجوم

الثابتة وبعد توصيف هذه السماء والقول أنها (عرش الله) يصعد الشاعر مع حبيبته إلى درجات

الأطهار المحبين لله لتنتهي الملحمة هنا.

قصة المعراج

عندما عاد النبي من الطائف إلى مكة كان مهموماً، ليس بسبب ما رآه من أذى، بل بسبب خوفه على الدعوة وألا يجد مكاناً صالحاً لانتشارها، فقد كانت الطائف أملاً له، ولكن كان أهلها أسوأ من أهل مكة، ثم إن مشركي مكة حالوا بينه وبين دخولها، فقد منعه من دخول بلده حتى جاء مطعم بن عدي وهو سيد من سادات قريش فسمح له بالدخول، وقد طاف حول الكعبة، وفي ظل كل هذه المآسي التي مرت به، أراد الله -تعالى- أن يُسري عن نفس نبيه ويُرفقه عنه، فكانت حادثة الإسراء والمعراج، فقد أسرى الله بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس في جزء من الليل. وقد ركب دابة تدعى البراق، وهناك التقى بالأنبياء -عليهم السلام- فصلى بهم إماماً، ثم عرج إلى السموات العلى، فقد صعد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى السماوات السبع وكان في كل مرة يصعد فيها إلى سماء يرى نبي، فيسلم عليه ويقر بنبوته. ثم رُفِع إلى سدرة المنتهى ورفِع له البيت المعمور، ثم عرج إلى الله -جل جلاله-، وقد فرضت الصلوات الخمسة في ذلك الوقت، وقد كانت خمسين صلاة، وحُققت إلى أن وصلت إلى خمسة بعد أن قال له موسى أن يسأل الله التخفيف، ثم نزل إلى الأرض وعاد إلى مكة المكرمة في نفس تلك الليلة.

اتفق العلماء على أن الإسراء والمعراج كانا في حال يقظة النبي -صلى الله عليه وسلم- بجسده وروحه وفي نفس الليلة، والدليل هو قول الله -تعالى-: (عبده) في آية: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)، وهذا يدل على الروح والجسد معاً.

ماذا رأى النبي في رحلة المعراج؟

عرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من بيت المقدس إلى السماء السابعة، وقد مر بما قبلها من سماوات، أما ما رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- في السماء الدنيا

عندما وصلا على السماء الدنيا لاقى النبي -صلى الله عليه وسلم- سيدنا آدم عليه السلام -وحيا بعض ودعا سيدنا آدم بالخير له.

في السماء الثانية

بعد ذلك صعد النبي مع سيدنا جبريل إلى السماء الثانية فقابل سيدنا "عيسى ابن مريم" و "يحيى" عليهما السلام فرحبا به وقال له: "مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ."

في السماء الثالثة

بعد ذلك صعد النبي مع سيدنا جبريل إلى السماء الثالثة فقابل سيدنا "يوسف"، ووصفه النبي قال: "أَعْطِيَ يَوْسُفُ شَطْرَ الْحُسَيْنِ" (الجامع الصغير 1173) هذا كناية عن مدى جماله.

في السماء الرابعة

عندما صعد النبي صلى الله عليه وسلم مع سيدنا جبريل إلى السماء الرابعة قابل سيدنا إدريس عليه السلام وحياه.

في السماء الخامسة
بعد ذلك صعد النبي مع سيدنا جبريل إلى السماء الخامسة فقابل سيدنا "هارون". أخو سيدنا موسى
-عليه السلام-.

في السماء السادسة
بعد ذلك صعد سيدنا محمد مع سيدنا جبريل إلى السماء السابعة وهناك قابل "موسى" عليه السلام،
ودار بينهم حوار مفاده أن "موسى" عليه السلام قد بشره بأنه سيدخل من أمته -المسلمين- الجنة
الكثير أكثر مما سيدخل من أمة سيدنا موسى عليه السلام.

في السماء السابعة
بعد أن انتهى الحوار مع سيدنا موسى عليه السلام صعد سيدنا محمد مع جبريل عليه السلام إلى
السماء السابعة، وهناك قابل خليل الرحمن (إبراهيم) عليه السلام.
عندما رأى النبي سيدنا "إبراهيم" عليه السلام كان يسند ظهره إلى البيت المعمور وهو كعبة أهل
السماء التي يدخلها في اليوم الواحد سبعون ألف ملك وعندما يخرجون لا يعودون إليها مرة أخرى أبداً
، ويدخل غيرهم في اليوم التالي.

استقبل إبراهيم عليه السلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودعا له وقال له ما نقله لنا النبي في
حديثه:

لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخَيْرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ
عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ " (صحيح
الترمذي 3462)

وقت حادثة الإسراء المعراج
أجمع العلماء على أنّ حادثة الإسراء والمعراج حصلت مرة واحدة في مكة المكرمة بعد أن بُعث النبي،
وقبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة، وتعددت آراؤهم في تحديد اليوم الذي حدث فيه الإسراء
والمعراج: قيل: كانت في ليلة الاثنين، في الثاني عشر من ربيع الأول، من دون تحديد السنة. قيل: إنّها
كانت قبل الهجرة بسنة. قيل: قبل الهجرة بستة عشر شهراً. قيل: قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل:
بخمس سنوات.

رسالة الغفران لابي العلاء المعري

إن رسالة الغفران للأديب واللغوي والشاعر الفيلسوف النابغ أحمد بن عبد الله المعروف ب أبو
العلاء المعري – واحدة من أفضل الأعمال الأدبية العربية على مر العصور، بل والأدب العالمي فهي
تسبق الكوميديا الإلهية لدانتي في رحلته إلى العالم الآخر.

كتب المعري الرسالة رداً على رسالة وصلته من الأديب الحلبي علي بن منصور المعروف بابن القارح، ورسالة الأخير عُرفت برسالة ابن القارح، أرسلها إلى شيخ المعرة، ذاكراً له فيها أحواله وترحاله، وطائفة من أخباره وعصره ومن فيه من الملاحدة والزنادقة، وفيها مقتطفات من الشعر والحكم والنثر المسجّع اللطيف. وهي رسالة أدبية ولغوية وشعرية وإخبارية.

يرد المعري على رسالة ابن القارح برسالة مكونة من جزأين الأول، وهو المشهور حين أرسل المعري علي بن منصور ولقبه الشيخ في رحلة إلى الجنة والنار والمحشر، وفي الجزء الثاني من الرسالة أجاب فيها عن رسالة ابن القارح، وهي رسالة لا تقل أهمية من الجزء الأول لمضمونها اللغوي والأدبي والشعري والإخباري عن أحوال العصر ورجاله ولا سيما من الملاحدة والمجان والزنادقة من حلولية وصوفية متطرفة وشعراء فسقة، وقد بلغ حجم هاتين الرسالتين ستة أضعاف رسالة ابن القارح تقريبا.

تكمن أهمية الجزء الأول من رسالة الغفران لأبي العلاء في اتجاهين رئيسين: الأول قيمته الأدبية والفكرية والآخر أسبقيته وتأثيره. سبق نصُ المعري الكوميديا الإلهية للإيطالي ابن فلورنسا دانتي أليغري، هذا سبق الذي عبّر عنه الشيخ -وهو علي بن منصور ابن القارح- حين يحاور الشاعر عدي بن زيد ويذكر له أن شاعرا عربيا مسلما قد نظم على وزن قصيدة له فيقول الشيخ لعدي: إلا أنك يا أبا سودة أحرزت فضل سبق.

اثر الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية

تتكون ملحمة الكوميديا الإلهية من ثلاث أجزاء هي الفردوس، المطهر، الجحيم.. فالكوميديا الإلهية تسرد أحداثا غريبة لأبطال خارقين، ويسيطر عليها عنصر الحكاية بأسلوب جميل. ومن هنا فقد ذاع صيت تلك الملحمة الشعرية، وتمت ترجمتها إلى لغات عديدة منها اللغة العربية والتأثير الإسلامي في تلك الكوميديا واضح كما سوف نرى، إذ استفاد دانتي من التراث الإسلامي في هذه الملحمة الشعرية، بما لا يدع مجالا للشك. ولعل جذور هذا الموضوع والحديث عن ذلك التأثير يعود في البداية إلى مجرد هواجس دارت في خلد المستشرق الفرنسي "بلوشيه" مطلع القرن الماضي، عندما تحدث بأن أصل الكوميديا ممكن أن يكون في التراث الفارسي عند سنائي وغيره؛ ولكنه عجز عن إثبات ذلك البرهان التاريخي، حتى جاء مستشرق وراهب إسباني متبحر في الثقافة والتصوف والفلسفة الإسلامية هو "آسين بلاثيوس" فعرض نظريته الكاملة عن هذا التأثير في خطابه أمام المجمع اللغوي الملكي عام 1919، ونشرها في كتاب مفصل مدعم بالتحليلات والمقارنات المعتمدة على روايات الإسراء والمعراج من ناحية، وعلى التراث الأدبي والصوفي عند المعري وابن عربي وخاصة في كتاب الفتوحات المكية من ناحية أخرى؛ مبينا طرائق وصول هذه المادة إلى يد دانتي في فلورنسا عن طريق التجارة وحركة الحجيج والحروب الصليبية والنشاط التبشيري، ومحددا أهم مواقع هذا التواصل في الأندلس وصقلية.. وقوبلت هذه النظرية بالرفض القاطع في الأوساط العلمية والأكاديمية الإيطالية

والأوروبية عامة، إذ عزَّ عليهم الاعتراف أنهم مدينون للتراث العربي الإسلامي بأهم ملحمة أدبية روحية وضعت أصول اللغة والأدب في إيطاليا، وتضمنت أبرز رموز اللاهوت المسيحي والنقد السياسي، وكان ينقص الموضوع دليل مادي مجسم لم يلبث أن ظهر في "وثيقة المعراج" التي اكتشفت في العام ذاته في كل من إيطاليا وإسبانيا، ونشرها "تشيرولي" الإيطالي و"ساندينو" الإسباني بالتوازي بين البلدين.

لقد قدمت وثيقة المعراج الدليل الدامغ الذي يثبت النظرية أي تأثير التراث الإسلامي في الكوميديا الإلهية، وقطعت الطريق على منكريها، فأصبحت بذلك من أهم منجزات الأدب المقارن في القرن العشرين وكان من أهم نتائج ذلك أمران: أولهما أن إثبات هذا التأثير البالغ، لعناصر الثقافة والتراث الإسلامي العربي، في واحد من أعظم المؤلفات الأوروبية، التي أسست للغة والفكر والفن واللاهوت والثقافة والفلسفة المسيحية في جملتها، يعطينا نموذجاً مكتملاً معزراً بالشواهد والوثائق على مرحلة العطاء العربي في الآداب، حيث أسهمت ثقافتنا العربية الإسلامية في تخليق بعض عناصر النهضة الأوروبية في الفكر والفلسفة والآداب والعلوم، ما من شأنه تحريرنا من عقدة النقص، وجعلنا نتقبل راضين دينامية التواصل الحضاري.

وكان من أهم نتائج ذلك أمران:

أولهما أن إثبات هذا التأثير البالغ، لعناصر الثقافة والتراث الإسلامي العربي، في واحد من أعظم المؤلفات الأوروبية، التي أسست للغة والفكر والفن واللاهوت والثقافة والفلسفة المسيحية في جملتها، يعطينا نموذجاً مكتملاً معزراً بالشواهد والوثائق على مرحلة العطاء العربي في الآداب، حيث أسهمت ثقافتنا العربية الإسلامية في تخليق بعض عناصر النهضة الأوروبية في الفكر والفلسفة والآداب والعلوم، ما من شأنه تحريرنا من عقدة النقص، وجعلنا نتقبل راضين دينامية التواصل الحضاري.

أما الأمر الثاني، فهو الالتزام بالإيقاع المتوازن المضبوط، في تقدير العمل العبقري الذي ندرسه ونبحث عن حفرياته ومواده الأولية. فالكوميديا الإلهية ملحمة خالدة كبرى تؤسس للمعرفة والفن وللقيم الروحية لأوروبا المسيحية في العصور الوسطى، وإفادة دانتي في بنائها الشامخ من هيكلية أشكال الفردوس وصور النعيم فيها وأوضاع الأعراف وطبيعتها ونوعية سكانها، ودرجات الجحيم ونماذج العذاب فيه من عناصر التراث العربي الإسلامي، كانت عوامل مساعدة له لكي يأخذ ويستفيد من بعض هذه المواد، وما أضاف إليها من الميثولوجيا اليونانية والفلسفة المسيحية.. جعلت من الكوميديا الإلهية بناء شامخ أدبيا، ومن هنا.. فقيمة العمل الفنية والرمزية لا ينقص باكتشاف مصادره، وعلينا أن نضعها في موقعها الصحيح دون الانحراف لنزاعات التعصب الثقافي، وتمجيد الذات على حساب الآخرين. لذا لا ينقص من أهمية الكوميديا الإلهية أخذها أو تأثرها بالتراث الإسلامي.

ولعلنا نوضح هنا التشابه الكبير والتأثير العميق، بين كوميديا دانتي والتراث الإسلامي، خاصة في الإسراء والمعراج؛ إذ يوجد في كتاب "أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية" الخطوط العامة لعروج دانتي وبياتريشي إلى سموات الجنة، وقصة رمزية أخرى لعروج فيلسوف صوفي إلى السماء، جاءت في كتاب

الفتوحات المكية للصوفي الأندلسي ابن عربي. وينطلق مؤلف الكتاب في تقديمه لوجهه نظره، من أن قصة ابن عربي الرمزية، لم تكن غير تكييف صوفي لقصة عروج أخرى إلى السماء كانت شائعة في الأدب الإسلامي، وهي قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما كانت قصة المعراج مسبوقة بإسراء من مكة إلى القدس، فإن تلك المأثورات الإسلامية في هذا الموضوع هي النموذج الأساسي الذي استقى منه دانتي تصوراته عن العالم الآخر.

ولعل ما يؤكد هذا التأثير الإسلامي - كما يشير كتاب أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية - هو المطابقات والمشابهات القائمة بين القصص الإسلامية وكوميديا دانتي. ومما يؤكد تأثر دانتي أيضا بالتراث الإسلامي، أن دانتي جاء في عصر استعراب كامل لأوروبا، وهو ما مكنه من الاطلاع على الأدب الإسلامي. وأنه لولا ذلك ما خرجت الكوميديا الإلهية من بين أفكار دانتي بالصورة التي خرجت بها. وهو ما أكدته الدكتور حسن عثمان في القول بأن التراث الإسلامي عن العالم الآخر، كان معروفا في أوروبا حينما كانت الحضارة العربية والإسلامية صاحبة القدر الفعلي، وقد تم التفاعل عن طريق الأندلس وصقلية.

أيضا من صور التشابه والتأثير الإسلامي، في الكوميديا الإلهية إن الرحلتين بدأتا ليلا بعد أن يوقظ بطل القصة من نوم عميق، ويعترض أسد وذئب في إحدى القصص التي حاكي فيها المؤلف المسلم، قصة المعراج أي في رسالة الغفران طريق المسافر المؤدي إلى النار. وكذلك يعترض طريق دانتي نمر وأسد وذئبة. كذلك التصميم العام للجحيم صورة طبق الأصل من النار الإسلامية، وكل منهما على صورة قمع كبير أو مخروط مقلوب، كما أن تصميم الجنة في القصة الإسلامية و في كوميديا دانتي متطابق.

ملخص الكلام كما يلي:

• الدليل التاريخي

لقد اعترف المستشرقون الغربيون بذلك ومنهم الاسباني (مجيل أسين بلاثيوس 1871-1919) بان (دانتي قد تأثر بعدة مؤثرات إسلامية منها (الإسراء والمعراج والفتوحات المكية لابن عربي) غير ان البعض لم يقبل بهذا الرأي مدعيا ان (دانتي) لم يكن يعرف العربية وبذلك لم يطلع على الثقافة العربية واسقر الراي على هذا النحو حتى كتب عالمان غربيان هما الايطالي (ثشيرولي) والاسباني (مونيوس سندنينو) بحثين منفصلين اثبت كلا منهما على انفراد بان الإسراء والمعراج قد ترجم إلى الاسبانية - لهجة قشتالة) ولا بد ان يكون دانتي قد اطلع عليها. هذا هو الدليل التاريخي (خارج نصي) على تأثر دانتي بالثقافة العربية

• الدراسة النصية

توجد في نص الملحمة جملة من المؤثرات العربية ويمكن إجمالها بالاتي:

1. يصف دانتي الجحيم بأنها ارض متوارية تحت هذه الأرض وهو وصف مخطوطة الإسراء والمعراج المترجمة عينه.
2. في الإسراء والمعراج نجد ان الرسول (ص) يرافقه ملائكة في رحلة إدلاء وقد استعار (دانتي)

- هذا الموضوع في ملحمته.
3. وصف دانتي للنسر العملاق ذي الأرواح الكثيرة والأجنحة المتعددة ويشع نورا باهرا مستعار من وصف الإسراء والمعراج للديك العملاق.
 4. التشابه العجيب في مشهد المثلوث القدسي أمام الله.
 5. إشارته إلى (ابن رشد وابن سينا - صلاح الدين الايوبي..) مايشير إلى انه قد اطلع على الثقافة العربية والإسلامية 6. تشابه كبير بينهما من حيث البناء الأسلوبى والقصى.

وهكذا نرى اثر الثقافة العربية في الأدب الغربى من خلال الأدلة التاريخية والدراسة النصية للملاحم.

بين رسالة الغفران والكوميديا الالهية:

- 1) كلا الشاعرين اتخذ رسالته سبيلا إلى إظهار مقدرته الأدبية واللغوية وإبراز معرفته بالتاريخ، وإلى التعبير عن فلسفته الدينية.
- 2) كلا الشاعرين اتخذ من الأشخاص الذين لقيهم هنالك من البشر المعروفين في أيامه أو قبل أيامه أو من الجن.
- 3) كلاهما جعل أهل الجنة جماعات جماعات، وجعل أهل النار أفرادا أفرادا.
- 4) كلاهما وقف على الأشخاص الذين لقيهم يحادثهم في أمور جرت لهم في الدنيا وصاروا إليها في الآخرة، ولقد قلّد دانتي في ذلك المعري تقليدا تاما...
- 5) يدهشك أن ترى "المطابقة" التامة بين دانتي وأبي العلاء حين يأتیان إلى قوم قد خفف الله عنهم العذاب أو بعضه.
- 6) فى الكوميديا يجد دانتي نفسه فى غابه مظلمة وكادت ثلاثة وحوش تقضى عليه (اسد وفهد وذئب) وقد انقذه من تلك الغابة الشاعر (فرجيل) الذى ارسلته (بياترشى) وفرجيل هو رمز الحكمة الارضية، فى رسالة الغفران يواجه (ابن القارح) ذئبة واسدا عندما يزور الجحيم.
- 7) رحلة دانتي تبدأ من الجحيم بينما تبدأ رحلة ابو علاء من الجنة.
- 8) ذكر النساء فى الجميلات فى كلا العملين ووضعهما فى الجنة.

